

صحافة الحروب (تأثير برنامج "الصحفي المرابط" على أخلاقيات العمل الصحفي)

War Journalism: The Impact of the Embedded System into the Journalistic Ethics

د. عبد الناصر بن أحمد بن عبد الله العبري

دكتوراه في الإعلام وسياسات الثقافة، كلية الدفاع الوطني، وزارة الدفاع، سلطنة عمان

Email: anabri25@hotmail.com

المخلص:

تعد موضوعات "الإعلام والحروب" أحد أهم القضايا الإستراتيجية التي يتناولها الفكر العسكري وأدبيات الصراع المسلح في ظل التحولات الراهنة التي يشهدها العالم على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية والتكنولوجية. ولا شك أن انعكاس تلك التحولات سلباً أم إيجاباً على العلاقات الإعلامية- العسكرية وضمن إطار التعاون العسكري-المدني أثناء الازمات، وفي سياق تداخل قضايا الحرب والسلام في نموذج "الحروب الجديدة" يؤثر على عمل المراسلين الحربيين في مناطق الصراع. ويهدف هذا البحث الى دراسة تداعيات نموذج "الحروب الجديدة" في ادبيات الصراع المسلح على حرية عمل المراسلين الحربيين من خلال تحليل الأساليب التي انتهجتها المؤسسة العسكرية وخاصة البريطانية في تأمين وصول المراسلين الحربيين الى مناطق النزاع بما عرف بنظام الصحفي المرابط في الوحدات العسكرية The Embedded System، وتأثيره على الممارسات الصحافية في مناطق النزاع. وقد استخدم الباحث المنهج النوعي باستخدام أداة المقابلة غير المقننة مع عينة مختارة من المراسلين الحربيين المحترفين ممن ينتمون إلى كبريات المؤسسات الإعلامية في المملكة المتحدة كشبكة الإذاعة البريطانية (BBC)، وصحيفة الجارديان (The Guardian)، وصحيفة هيرالد الأسكتلندية (The Herald) وذلك في الفترة من 2016 الى 2018م. كما تم تحليل عدد من الوثائق العسكرية التي أصدرتها وزارة الدفاع البريطانية ذات الصلة بالتنظيم الإعلامي في الحروب. ويسعى هذا البحث الى الاجابة على السؤال البحثي عما إذا كان نظام الصحفي المرابط The Embedded System قد نجح في تحقيق أهدافه أخذاً في الاعتبار القيود المهنية التي تؤثر على أداء الصحفي في تغطية الحروب. وقد كشفت النتائج عن انتشار حالة من عدم الثقة من جانب الصحفيين حول السياسات العسكرية في "النظام الصحفي المرابط" أثناء وبعد حرب العراق (2003) والتي انعكست سلباً على حرية عمل المراسلين الحربيين، وصعوبة التزامهم بالقيم الليبرالية في ممارسة الصحافة تحت الإشراف المباشر من قبل المؤسسة العسكرية خاصة ما يتعلق بالمحافظة على الحياد والموضوعية وحرية التعبير والإبلاغ عن العنف المنظم ضد المدنيين.

الكلمات المفتاحية: الحرب الجديدة، تغطية الحروب، العلاقات الإعلامية-العسكرية، النظام الصحفي المرابط، القيود الأخلاقية

War Journalism: The Impact of the Embedded System into the Journalistic Ethics

Abstract

Topics of "Media and Wars" are among the most important strategic issues addressed by the military schools and armed conflict literature amid the current transformations taking place in the world at the political, economic, social, security and technological levels. There is no doubt that the implications of these transformations, either negative or positive, on the media-military relations within the framework of military-civil cooperation during crises affect the work of war correspondents in conflict zones, particularly under the interface of war and peace issues in the model of "new wars".

This paper aims at studying the implications of the "new wars" model on the correspondents' freedom of work in armed conflict literature by analyzing the military approaches, especially in Britain, in securing access to conflict zones for war correspondents in what is known as embedded journalism and their impact on journalistic practices. The researcher adopted the qualitative approach, namely the unstructured interviews conducted between 2016 and 2018 with selected professional war correspondents from major media institutions in the UK including the BBC, the Herald, and the Guardian. Additionally, the paper analyzed a number of military documents issued by the British Ministry of Defence related to media regulation in wartime.

This paper seeks to answer the research question whether the embedded journalism has succeeded in achieving its objectives or not, taking into account the professional restraints that affect the journalist's performance.

The findings revealed a widespread lack of confidence amongst journalists regarding the military policies in "embedded journalism" during and after the Iraq war (2003), which negatively affected war correspondents' freedom of work. Findings also showed how difficult for war correspondents, under a direct supervision of a military institution, to commit to liberal values in practicing journalism such as maintaining neutrality, objectivity, freedom of expression and reporting of organized violence against civilians.

Keywords: The new war, covering wars, media-military relations, the embedded system, journalistic ethics.

المقدمة:

كثيرا ما توصف تقارير الحروب بأنها صعبة دائماً سواء على الصحفي أو المتلقي، وخاصة عندما تكون الأخبار سيئة وتحمل مظاهر العنف والدمار حيث يواجه المرسلون الحربيون تحديات عدة في سبيل الإبلاغ عن الحقيقة، والمحافظة على الحياد أثناء تأدية عملهم في خطوط المواجهة. تجادل هذا المقالة في أن مراسلي الحرب يواجهون مشاكل معقدة من أجل تأمين دخولهم لساحات القتال في أنماط الصراعات المعاصرة بسبب تغير طبيعة الصراع، واتساع الرقعة الجغرافية لمسرح العمليات، وتنوع أشكال الرقابة الصارمة لوحدة الجيش وحرس الحدود في تقييد حرية الدخول والخروج من المنافذ الرسمية، وصعوبة اختراق المناطق التي يسيطر عليها العدو أو الجماعات شبه العسكرية دون تنسيق مسبق مع السلطات الرسمية.

يناقش هذا البحث مجموعة الفرص والتحديات التي توفرها الحروب الجديدة للمرسل الحربي المحترف، والمراسلين المحليين، وصانعي المحتوى، ومستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي لممارسة العمل الصحفي مع الأخذ في الاعتبار جملة التشريعات والقوانين والضوابط التي تحددها السياسات العسكرية الإعلامية أثناء العمليات الفعلية والتي تنظم العلاقة المهنية بين المؤسسة العسكرية ووسائل الإعلام والتي تأمل من خلالها المؤسسة العسكرية الى دمج وسائل الإعلام في المجهود الحربي للدولة. يقدم هذا المبحث شهادات عدد من الصحفيين المتعلقة بأسلوب عملهم وتجاربهم في تغطية الصراعات المسلحة في عدد من الحروب التقليدية وغير التقليدية مثل حرب المجاهدين في أفغانستان (1979-1989)، وحرب تحرير الكويت (1991)، وحرب البلقان (1998)، والحرب على أفغانستان (2001)، والحرب على العراق (2003)، وسلسلة الأزمات التي شهدتها عدد من الدول العربية والإسلامية والتي عرفت بثورات "الربيع العربي".

مشكلة البحث:

يتجاوز الإبلاغ عن الصراع الممارسات التقليدية للصحافة، حيث يتعامل الصحفيون في مناطق النزاع مع أطراف متعددة بعضها يمثل السلطات الرسمية كالجيوش والأجهزة الأمنية ووكالات الإغاثة ووسائل الإعلام ووكالات الأنباء والعالمية، وبعضها الآخر غير حكومي كالتنظيمات والميليشيات غير النظامية والمنظمات المحلية والإقليمية والدولية التي تعنى بحقوق الانسان والرعاية الصحية ومراقبة انتهاكات القانون الدولي والإنساني ومراكز الدراسات واستطلاعات الرأي. ونظرا لقلة الدراسات الإعلامية والاجتماعية في مجتمعاتنا العربية المعنية بتحليل ظاهرة الحروب وتأثيرها على عمل المرسلين الحربيين، فقد شعر الباحث أنه من الأهمية بمكان ملء الفراغ في مجال دراسات صحافة الحروب من خلال تحليل ونقد التجربة البريطانية بحكم عراقتها في تغطية الحروب والصراعات حتى يتكون لدى القارئ والباحث والصحفي العربي معرفة متعمقة بالمخاطر التي يواجهها المرسلون الحربيون في الوصول الى مناطق النزاع لا سيما في النزاعات التي شهدتها عدد من الدول العربية والإسلامية والتي لا زالت تعاني بعضها من أزمات داخلية وحروب طاحنة وعدم استقرار في أمنها الداخلي.

إن مشكلة البحث تتمحور في الإجابة على السؤال البحثي الرئيسي لهذه الدراسة في الآتي:

- إلى أي مدى نجح النظام الصحفي المرابط الذي مارسه القوات البريطانية منذ حرب العراق عام 2003م في دمج الصحفيين في المجهود الحربي للدولة؟

- ما أبرز القيود المهنية التي تؤثر على أداء المراسل الحربي في تغطية الصراعات المعاصرة؟

منهجية البحث:

استخدم الباحث المنهج النوعي باستخدام أداة المقابلة غير المقننة مع عينة مختارة من المراسلين الحربيين المخضرمين في عدد من وسائل الإعلام البريطانية مع مجموعة مختارة من المراسلين الحربيين المحترفين ممن ينتمون إلى كبريات المؤسسات الإعلامية في المملكة المتحدة كشبكة الإذاعة البريطانية (BBC)، وصحيفة الجارديان (The Guardian). وصحيفة هيرالد الأسكتلندية (The Herald). وقد التقى الباحث بالمبجوثيين إما بصفة شخصية أم عبر الهاتف في فترات زمنية مختلفة بين 2016م إلى 2018م أثناء دراسته لمرحلة الدكتوراة في جامعة جلاسجو بإسكتلندا. وبالرغم أن حجم العينة صغيرا نوعا ما باعتبار أن المشتغلين في تغطية الحروب هم قلة مقارنة بالأقسام الصحافية الأخرى بسبب حجم المخاطر التي يتعرض لها الصحفيون في مناطق القتال، فقد أتاح الحديث مع المبجوثيين إلى تلمس آراءهم حول التحديات التي تواجه الصحافة في حياتنا المعاصرة فيما إذا كانت مهنة الصحافة لا زالت قادرة على اعلام الجمهور بما يحدث بشكل واقعي وموضوعي وبتجرد من الآراء الشخصية في ساحات القتال دون أن تتعرض المجموعات الصحفية لمضايقات أو ضغوط من جانب الفاعلين الرئيسيين في ساحة المعركة خاصة من جانب الفاعلين غير الحكوميين. كما قام الباحث بتحليل عدد من الوثائق العسكرية التابعة لوزارة الدفاع البريطانية تم الحصول عليها من المواقع العسكرية المتاحة في شبكة الإنترنت.

أهداف البحث:

انطلاقا من مشكلة البحث فإن هذه الورقة الى دراسة تداعيات الحروب الجديدة على حرية عمل المراسلين الحربيين من خلال مقارنة الأساليب التي اتبعتها هؤلاء المراسلين لتأمين وصولهم الى مناطق النزاع وارسال تقاريرهم الإخبارية من مختلف المواقع على أرض المعركة، والتي شملت: (1) الالتحاق بأحد الوحدات العسكرية في الجيوش النظامية للمشاركة في تغطية إخبارية بالتنسيق مع إدارة العمليات الإعلامية العسكرية كما كان الحال في الحروب التقليدية التي خاضتها الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وحلف شمال الأطلسي في أفغانستان وكوسوفو والعراق. (2) العمل بشكل مستقل مع الاستفادة من الخدمات التي تقدمها الحكومات المحلية أو المجموعات شبه العسكرية في المناطق التي تسيطر عليها مثل تلك العمليات العسكرية التي تستهدف مكافحة التمرد كما حدث في أفغانستان والعراق وسوريا وليبيا واليمن طوال العقدين الماضيين.

وتكمن أهمية البحث في الآتي:

- تحليل ونقد العلاقات الهيكلية والمؤسسية التي تربط القطاع العسكري بصحافي الحروب أثناء الأزمات مع التركيز على تجربة وزارة الدفاع البريطانية في إدارة الإعلام أثناء بعض الحروب الحديثة.
- استعراض الاتجاهات الحديثة في بيئة الاتصال والتحديات التي تواجه الصحفيين في الإبلاغ عن الحقيقة وتقصي الأخبار.
- استشراف طبيعة عمل الصحفيين في بيئات الصراع وأنماط العلاقة مع أطراف الحروب سواء مع الجيوش النظامية أم التنظيمات غير الحكومية.

- توضيح المخاطر التي يواجهها المراسلون الحربيون في الوصول الى مناطق النزاع لا سيما في النزاعات التي شهدتها عدد من الدول العربية والاسلامية والتي لا زالت تعاني بعضها من أزمات داخلية وحروب طاحنة وعدم استقرار في أمنها الداخلي.

النظام الصحفي المرابط The Embedded System

هناك ارتباط وثيق بين الإعلام والسياسة والحرب في عالمنا المعاصر، فالإعلام لم يعد أحد أدوات العمل السياسي والعسكري في عصر العولمة والرقميات وحسب بل أصبح مدمجا في العملية السياسية ومن الصعب فصله عن مشاهد الحياة اليومية بكل ما فيها من عراك سياسي، واعمال عنف، وصراع قوى، وأزمات اقتصادية، وانتشار أوبئة معدية، وكوارث طبيعية، وقضايا أخرى متعلقة بالبيئة والمناخ والتعليم والسكان والهجرة (Galtung, 2002; Galtung, 2003; Lee & Maslog, 2005; Lynch & Galtung, 2010; Nohrstedt & Ottosen, 2014; Neumann & Fahmy, 2016). ولذلك فإن المؤسسة العسكرية لا سيما في الولايات المتحدة وحلفائها في أوروبا تكافح من أجل ممارسة الهيمنة على قطاع الإعلام أثناء الصراعات المسلحة والتحكم فيما يتم بثه ونشره بهدف التأثير في الرأي العام الداخلي وضد الطرف الآخر المعادي وهي ذريعة تستخدمها القوى الكبرى لسيطرتها السياسية والاقتصادية والإعلامية على بنية النظام الدولي ومؤسساته حتى لو كان التهديد حقيقيا كما كان الحال مع الاتحاد السوفيتي من بعد الحرب العالمية الثانية (أمين، 2003). ولا شك أن الولايات المتحدة أصبحت بعد انهيار الاتحاد السوفيتي القوة العسكرية والاقتصادية والثقافية الأبرز في العالم معلنة انتهاء نظام القطبين ومدشنة لمرحلة جديدة من الهيمنة على مختلف المستويات بسبب الازدهار في الصناعة والتكنولوجيا والبحث العلمي، والتقدم الكبير في مجال الرقميات والنظم المعلوماتية. ولعل تكريس نظام التبعية والغزو الثقافي من خلال دمج الثقافات الأخرى في نظام رأسمالي متوحش اقتصاديا وثقافيا بسبب الفجوة بين الغرب المتقدم والدول النامية، واستخدام التفوق العسكري والتكنولوجي للتدخل بذرائع سياسية دون غطاء من مجلس الامن والمنظمات الدولية والمجتمع العالمي مرة بدواعي القضاء على خلايا الإرهاب وحماية المدنيين، وأخرى بمحاسبة الدول المارقة التي تسعى لإنتاج أسلحة دمار شامل من اهم ملامح النظام العالمي الجديد (أمين، 2003).

وقد تباينت أشكال تلك الهيمنة ما يتعلق بالتغطيات الإعلامية للصراعات المسلحة بين:

أ. اعلان استراتيجية الضربة الاستباقية (Pre-emptive Strike) بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001م لحماية مصالح الأمن القومي الأمريكي وذلك باستغلال الشبكات الإخبارية الدولية كشبكة CNN وحلفائها في أوروبا مثل شبكة BBC ووكالات الأنباء العالمية وفق حملات ممنهجة بتشويه عدو إرهابي مصطنع حسب الطلب وتلفيق الأدلة له من أجل تسويق استهدافه عسكريا (Kutz, 2013). يعقب ذلك فرض قيود صارمة على النشر، وتقييد حركة الصحفيين في مناطق النزاع دون وضع اعتبار لسلمة القانون الدولي والإنساني ومبادئ حريات الصحافة وحماية المصادر كما أقرتها التشريعات والنظم الصحفية العالمية.

ب. هيمنة الولايات المتحدة على سوق الإعلام والاعلان والتسويق وصناعة السينما ودور النشر. ويشار إلى أن هناك 6700 محطة إذاعية تجارية، وما يزيد على 700 محطة تلفزيونية، و1500 صحيفة يومية ومئات الدوريات في الولايات المتحدة ما يجعلها تمارس دور الاستبداد السياسي والثقافي (عطوف، 2019). وقد مكنتها ذلك التفوق من استخدام قدراتها الإعلامية والنفسية والسينمائية والترفيهية الضخمة في التحكم في السيطرة على حركة التدفق الإعلامي والمعلوماتي من أجل تسويق القيم الغربية،

وتشويه صورة الآخر، وتعزيز اجندات محددة مما يجعل الرأي العام غير محصن ضد حملات التضليل الإعلامي Disinformation، والاذخار المزيفة Fake News (عطوف، 2019). ولذلك فإن قيم وأسس الديمقراطية تصبح مهددة في ظل الاختراقات ونشر الأذخار المزيفة. وقد أكدت دراسة عن أسباب نمو وانتشار الأذخار المزيفة في منصة الكترونية مثل شبكة تويتر خلال وبعد حملة انتخابات الرئاسة الأمريكية عام 2016م والتي رصدت فيها أكثر من 10 مليون تغريدة من حوالي 700 ألف حساب ترتبط بأكثر من 600 منصة إخبارية مزيفة أنه لا يزال 80% من تلك الحسابات نشطا وتقوم بإرسال أكثر من مليون تغريدة في اليوم الواحد (Hindman & Barash, 2018).

ج. ممارسة الهيمنة الأيديولوجية وربطها بمفاهيم "صراع الحضارات" و "نهاية التاريخ" و "القوة الناعمة" والتي أعادت تشكيل العالم وفقاً لاعتبارات ثقافية في السياسة الكونية من أجل خلق أعداء جدد وفق عقائد قتالية تتناسب وطبيعة الصراعات المعاصرة. وقد انبثق عن تلك التوجهات تركيز وسائل الإعلام على مفاهيم محورية في الحروب الجديدة مثل: التطرف الديني، والإرهاب الفكري، ونشر الديمقراطية على متن الدبابات (قاعود، 2017).

د. انتهاج أساليب صارمة في محاولة السيطرة على الفضاء الإعلامي والمعلوماتي أثناء العمليات العسكرية وتشمل منع الصحفيين من مرافقة الوحدات العسكرية واختيار من يكون معهم بناء على قاعدة "مع" و"ضد" (Nohrstedt & Ottosen, 2014; Neumann & Fahmy, 2016). كما تجاوز الأمر الطابع السلمي ليتحول إلى استهداف بعض مقرات وسائل الإعلام التي يعتقد ان القيادة العسكرية المعادية تتخذها مقراً لها وهو ما أدى إلى انتشار الفوضى، واختلال النظام الإعلامي العالمي مما شكل عقبات جديدة للمراسلين الحربيين في نشر الحقائق، والحفاظ على المصداقية في النشر (جالوا، 2004).

ولذلك لم تجد وسائل الإعلام الغربية التي تدافع عن الحريات وتمسك بالقيم الليبرالية في ضمان حقوق الفرد في الحصول على المعلومات بدا من خوض معركة كبيرة ضد الهيمنة التي تمارسها القوات الأمريكية والبريطانية خاصة بعد حرب أفغانستان عام 2001م، وممارسة الضغط عليها لتمكينها من ممارسة أعمالها والسماح لها بالالتحاق بالوحدات العسكرية عندما كان كلا البلدين يحضران لعملية غزو العراق في عام 2003م (Shanker & Sanger, 2002). وهنا يظل الخيار الليبرالي ممكناً للمحافظة على التجربة الديمقراطية الغربية ومحاولة ثني القوى المتحكمة في رأسمال البشري والعسكري والاقتصادي والتكنولوجي عن ممارسة الهيمنة والتي لا تكثر كثيراً برعاية المصالح الاجتماعية وحق الجمهور في معرفة الحقائق. ونظراً لصعوبة السيطرة على قطاع المعلومات في أنماط الحروب الحديثة وتنوع مصادر الأذخار في القنوات الفضائية وعلى شبكات الانترنت مع ظهور شبكات إخبارية خارج نطاق الدائرة الغربية أصبح لها حضور قوي وسط محطات التلفزة العالمية كقناة الجزيرة مثلاً، فلم تجد المؤسسات العسكرية في كل من الولايات المتحدة وبريطانيا بدا من محاولة إعادة تنظيم علاقاتها بالمؤسسات الإعلامية من خلال برنامج يسمح بإلحاق الصحفيين بقواتهما في مسرح العمليات (Shanker & Sanger, 2002). وبناء على دراسة مستجدات البيئة الإعلامية ولتفعيل سياسات العمليات العسكرية الإعلامية التي ترمي إلى سد الفجوة بين الصحافة والقوات المسلحة في مرحلة ما بعد الحرب الباردة فقد تم تدشين مشروع دمج الصحفيين الغربيين في The Embedded Programme في خطة العمليات العسكرية للقوات المسلحة الأمريكية والبريطانية أثناء التحضير لغزو العراق عام 2003م. ولا يزال الكثير من النقاش في الأدبيات الحالية المثيرة للجدل بشأن المسئوليات الأخلاقية والمهنية لمراسلي الحرب اللذين يتم اختيارهم للانضمام للبرنامج،

على سبيل المثال مسؤوليتهم عن توفير تغطية متوازنة للحرب ما بين نشر الاخبار والحقائق واحترام سلامة القوات لا سيما عندما تشارك القوات المسلحة الغربية علنا في الحروب (Dodson, 2010; Lindner, 2009; Tønnessen & Kolstø, 2012). غير أن استمرار القيود التي خضع لها مراسلو الحرب مع انتشارهم مع الوحدات العسكرية ضمن هذا البرنامج مثل القيود على التنقل وفرض الرقابة على المحتوى، والالتزام بقواعد الاشتباك التي يفرضها الجيش ضمن خطط العمليات جعل الصحفيين أكثر قلقا حول مستقبل عملهم في تغطية النزاعات (Cockburn, 2010).

فيما سيأتي، سأستعرض مخاوف صحفيي الحرب حول تأثير نظام "الصحفي المرابط" على المسؤولية الأخلاقية والمهنية التي يحرص الصحفيون على احترامها وتؤثر على قيمهم المهنية والشخصية

البعد الأخلاقي Ethical Dimension

بداية لا يمكن فصل البعد الاخلاقي عن الممارسة الإعلامية اثناء الصراعات المسلحة عند الحديث عن تراجع مصداقية الإعلام، وانحسار التعددية الثقافية في ظل العولمة والانفتاح الاقتصادي والثورة في تكنولوجيا الإعلام والاتصال والبيانات الرقمية. يعزو دانيال كورنو أسباب تراجع مصداقية الإعلام إلى "الاستقلالية الهشة للإعلاميين في علاقتهم بباقي السلطات، والخلط بين حرية التعبير التي يمتلكها كل منّا، وحرية الإعلام المحتكرة من لدن البعض فقط، وفي التصرف السلبي في المعلومة،

بما يخدم السباق نحو نسب المتابعة عوض عكس الواقع" (اليحيوي، 2014، ص 7). ويشير أيدن وايت (2017) مؤسس الشبكة الأخلاقية التي تضم أكثر من ستين مجموعة من الصحفيين والمحررين وأصحاب الصحف حول العالم لتعزيز الأخلاقيات والحوكمة أن أسس الديمقراطية تصبح مهددة بفعل الأخبار الزائفة والدعاية السياسية والمؤسسية إضافة إلى الانتهاكات الوحشية المتداولة عبر الإنترنت. ويضع المفكر والناقد الفرنسي سيرج لاتوش الإعلام المعاصر ضمن دائرة تأثير شبكة العولمة التكنو-اقتصادية الثقافية التي تختزل فيها أدوات الصراع والاحتكار والمنافسة وتتسم بوجود قوى تمكنها من تفكيك منظومة القيم الثقافية وتوليد أزمات أخلاقية على بنية النظام السياسي كالتأثير على التعددية والديمقراطية وحرية التعبير (حيدر، 2008). وفي المقابل، فإن التطورات الهائلة التي طالت ميدان الإعلام والمعلومات والاتصال كظاهرة الاندماج القوي بين قطاعات المعلوماتية والاتصالات السلوكية واللاسلكية والمسموع والمرئي أدت إلى تقويض احتكار النخبة والشركات متعددة الجنسيات على قطاع الإعلام والمعرفة، وسد الفجوة المعلوماتية في مجتمع الإعلام بأبعاده الثقافية والاجتماعية من خلال تجسيد مبادئ المشاركة في إنتاج، وتخزين، وتوزيع، وترويج، واستهلاك المعرفة وعلى نطاق دولي واسع (اليحيوي، 2014، ص 7). وتحرص المؤسسات الإعلامية الكبرى ذات السمعة العريقة كالصحف وشبكات التلفزيون ومحطات الإذاعة على الحفاظ على سمعتها كمصادر موثوقة ومعتمدة، ولا تراهن على ذلك بنشر معلومات غير موثوقة، وتسعى إلى الالتزام بأخلاقيات الممارسة الصحفية في النزاعات المسلحة حتى لو تعارضت مع سياسات أمن العمليات (Butler, 2005; JSP 580, Operational Security Policies (2013).

أثارت المسألة الأخلاقية للصحافة في الإبلاغ عن الحرب جدلاً حول مسؤولية الصحفيين عندما يجدون أنفسهم تحت المسؤولية المباشرة للقيادة العسكرية في مناطق العمليات، وفي وضع يجب أن يكونوا مشاركين فيه كشاهد عيان، بدلاً من مجرد الإبلاغ عن العنف المنظم الذي يمارس أمام أعينهم (Olsson, 2017). ويشمل ذلك فهم مبادئ وحدود مسؤولياتهم في مسرح الحرب،

من خلال النظر إلى مجموعة من القيود السياسية والهيكلية التي تشكل تحدياً مهنياً ووطنياً في آن واحد للمرسلين الحربيين كدورهم في حماية مصالح بلدانهم وأمنها القومي، وحماية مسار العمليات وخطط الحرب، والحفاظ على أمن الضباط والجنود والحلفاء والمنظمات الإنسانية غير الحكومية. كما تشمل أيضاً الالتزام بالسياسة التحريرية للمؤسسة الصحفية التي يمثلونها، والاهتمام بمسارهم المهني، وحماية منجزاتهم وطموحاتهم، وبما يعكس شخصياتهم في المجتمع كمشاهير وكتاب وأكاديميين ومدونين وهواة يمثلون أحد أدوات صناعة الرأي العام وتشكيل الصورة الذهنية، ولهم قاعدة واسعة من المتابعين والمشاهدين والقراء التي تم تكوينها على مراحل زمنية مختلفة (Rees, 2007). يقول الصحفي الفلسطيني محمد أبو قمر الذي غطى الحروب الثلاثة التي شنتها إسرائيل على قطاع غزة منذ العام 2008م وحتى 2014م (أبو قمر، 2020، ص 2): 'تجربة العمل في أوقات الحروب تكشف أنه لا يمكن للصحفي أن يفكر كثيراً في ضوابط العمل وما المسموح له أن يفعله، وما المحظور عليه من ناحية نظرية كان قد درسها في الكتب الإعلامية المتخصصة، فأمام المشاهد الإنسانية لا يمكن تنحية المشاعر جانباً، وألا تذرف الدموع وأنت تشاهد امرأة مسنة تطوف كل أقسام المستشفى بحثاً عن أبنائها الخمسة المفقودين'. ويعلق المصور الفوتوغرافي جيمس ناشتوي (2007) الذي وثق بعدسته الضوئية أغلب الصراعات العالمية في أكثر من 30 دولة حول أمنيته أن تتحول أعماله الضوئية شاهد عيان للحروب المعاصرة: 'أحد الأشياء التي توجب عليّ تعلمها كصحفي كان هو التحكم في غضبي. كان يتوجب على القيام به، تمرير غضبي، وتحويله إلى شيء يقوم بتوضيح رؤيتي، بدلاً عن تهميشه. في الصومال،

انهارت الحكومة المركزية واندلعت الحرب العشائرية. غادر المزارعون أراضيهم، ودُمرت المحاصيل والماشية أو سُرقت. كان التجويع يُستخدم كسلاح للدمار الشامل- بدائي لكنه فعّال بشدة. مئات الآلاف من الناس تم إبادةهم، ببطء وبكل ألم.. أنا شاهد، وأريد أن تكون شهادتي صادقة وغير خاضعة للرقابة. وأيضاً أريدها أن تكون قوية وبلغية، ولتخدم أقصى ما يمكن العدالة لتجربة الناس الذين أقوم بتصويرهم'. ولا شك أن صور المأساة الإنسانية التي قدمها جيمس في مسيرته الصحفية كانت استكمالاً لمسيرة زملائه في المهنة الذين كان لهم إسهامات مهمة في كشف الزيف وتعبئة الرأي العام الدولي بسبب التجاوزات واستهداف المدنيين والنساء والأطفال كما هو الحال مع المصور "ورست فاس" الذي كان يعمل لصالح وكالة الاسوشيتدبرس في حرب فيتنام، والمصور الأمريكي الشهير "إدي آدمز" الذي التقط صورة الجنرال الجنوبي "نيغون نوغ" وهو يصوب المسدس على رأس السجين "نجوين فان ليم" الذي كان مقاتلاً في الفيتونغ" التابعة لفيتنام الشمالية، إلى جانب المصور الفيتنامي الأمريكي "نيك أوت" الذي حصد شهرة عالية بعد صورته الشهيرة التي أطلق عليها "فتاة النابالم" يوم 8 يونيو/حزيران 1972 خلال حرب فيتنام (الغزالي، 2019).

لقد أثرت التحديات الناشئة المتعلقة بالثورة التكنولوجية في الاتصال، وحفظ البيانات والتطور في العقائد القتالية، وصعود وسائل الإعلام الجديدة على مهنة المرسلين الحربيين ممن يلتحقون بالوحدات العسكرية ضمن نظام "الصحفي المرابط" وأصبحت لدى المتلقي وسائل بديلة ومؤثرة للحصول على الأخبار الفورية من غير القنوات الرسمية. ولذلك فإن سياسة العمليات الإعلامية التي تعتمد القوات المسلحة البريطانية مثلاً تجبر الصحفيين ممن يمثلون وسائل الإعلام البريطانية على توقيع وثيقة طلب الانضمام إلى الوحدات العسكرية في الجيش البريطاني قبل السماح لهم بالانتشار مع وحداتهم العسكرية لضمان السرية في النشر الإعلامي

ودعم خطط العمليات المعلوماتية. توفر الوثيقة العسكرية للجيش البريطاني التي يطلق عليها (الكتاب الأخضر) The Green Book جميع أحكام وشروط هذا الاتفاق.

ويمكننا القول بأن مجمل الانتقادات التي وجهها الصحفيون الحربيون للذين تم مقابلتهم حول برنامج "الصحفي المرابط" تتمحور حول تأثير هذا الاتفاق على ممارسة الصحافة المهنية من حيث ظهور ممارسات تتعارض مع القيم في المجتمعات الليبرالية، مثل منع وصول الصحفيين إلى مناطق القتال، وتأثير ذلك على أطر المرجعية الصحفية (الإنصاف، والدقة، وحرية التعبير)، فضلاً عن التدخل التحريري، وفقدان الحياد، وتضارب المصالح مع المؤسسة العسكرية وأطراف الصراع الأخرى في ميدان وساحات الحرب. في هذا الإطار يشير جوناثان بيلي Jonathan Beale، وهو مراسل هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) منذ عام 2017، وعمل لمدة عامين كمراسل للهيئة في بروكسل، فضلاً عن تغطية الانتخابات النصفية الأمريكية لعام 2006 التي تزامنت مع الانتخابات البلدية أو المحلية، وتغطية اتصالات غوانتانامو العسكرية في عام 2009، إلى تأثير برنامج "الصحفي المرابط" على حرية التعبير خلال الأزمات السياسية أو الحروب حيث قال: 'سواء أكنتم مع القوات البريطانية أو الأمريكية عليك أن تلتزم بقواعد صارمة. على سبيل المثال، سيطلبون رؤية المواد الصحفية لأسباب أمنية عملية للتأكد من أنك لا تعرض قواتهم للخطر. البريطانيون يجعلونك توقع على شيء يسمى (الكتاب الأخضر). والكتاب الأخضر هو، أن نكون صادقين، يسلب حريتك بعيداً... وسوف يتم عليك املاء ما يمكنك وما لا يمكنك تصويره.

وسوف يرغبون في رؤية البنود التي تم تحريرها' (مقابلة، لندن، 3 نوفمبر 2016). ان برنامج "الصحفي المرابط" كما يشير إليه بيل في تعليقه على القيود التي يفرضها الكتاب الأخضر تؤثر بشكل مباشر على حرية التعبير بسبب عدم قدرة الصحفيين عن الإفصاح عن القضايا الحساسة المحيطة بسرية وأمن العمليات العسكرية خاصة ما يتعلق بمصادر ودقة المعلومات الاستخباراتية، ومشروعية قصف الأهداف خاصة غير العسكرية، وتكتيكات تحرك القوات العسكرية، ولأن سياسة الإعلام العسكري البريطاني كانت أكثر تعقيداً وصرامة في نطاقها مقارنة بنظيرتها الأمريكية. وبما أن بريطانيا كانت شريك رئيسي في حرب العراق عام 2003، وقبل ذلك شاركت في العديد من الصراعات العالمية في مواقع وظروف جغرافية مختلفة، مثل حروب الفوكلاند وأفغانستان وانشغالها في عدد من الحروب الصغيرة وعمليات حفظ السلام (Badsey, 1996)، مارست المؤسسة العسكرية البريطانية عدة أشكال من الرقابة المباشرة على مضامين الصحافة وتقييد تحركات الصحفيين في مسرح العمليات. وعلى الرغم من أن كلاً من الولايات المتحدة وبريطانيا دافعتا بشدة عن سياساتهما المتمثلة في عدم دمج الصحفيين في أفغانستان لحماية سرية العمليات، اتخذ كلاهما خطوات جادة قبل حرب العراق لإنشاء "معسكر إعلامي" لتدريب الصحفيين الذين سيغطون وحدات الخطوط الأمامية في العراق (Shanker & Sanger, 2002). وفي هذا الصدد أشارت ليز دوسيت Lyse Doucet رئيسة قسم المراسلين الدوليين في هيئة الإذاعة البريطانية (BBC) إلى أن المؤسسة العسكرية الغربية فقدت السيطرة على حركة تدفق المعلومات الواردة من ساحات القتال منذ حرب أفغانستان لأن عدد من الصحفيين الذين يصنفون أنفسهم كصحفيين مستقلين تمكنوا من دخول أفغانستان والحصول على مصادر الأخبار من مصادر أخرى غير مصادر القوات الأمريكية والبريطانية. وتحظى دوسيت بسمعة وخبرة واسعة في تغطية الصراعات المسلحة اذ غطت جميع الحروب الكبرى في الشرق الأوسط كما كانت على علاقة وثيقة بعدد من الرؤساء وقادة الحروب من بينهم الرئيس الأفغاني السابق حامد كرزاي (Doucet, 2014).

وقالت دوسيت عن تجربتها عندما عملت بالقرب من مجموعات المجهدين في بعض أجزاء أفغانستان في الحرب السوفيتية الأفغانية (1979-1989): ' في أفغانستان، التحقت بنظام شبيه بهذا ولكن في الغالب كان مع الجانب الأفغاني، لذلك لم أتعلم حقاً على الجيش أو الحكومة الأفغانية للحصول على المعلومات لأنني أستطيع الذهاب والتحدث إلى السكان المحليين على الفور. انني أدرك وجهات نظر الجيش وواجبهم الوطني في توفير الحماية للقوات وذلك لتجنب أي تهديد غير متوقع من خلال تواجدهم في خط المواجهة' (مقابلة، لندن، 14 نوفمبر 2016). وبالنظر إلى المخاوف التي أبدتها الصحفية الكندية ليز دوسيت من قلة الفرص المتاحة للصحفيين الملتحقين بالوحدات العسكرية للتحدث إلى السكان المحليين، فإن غياب الموضوعية في تقديم وجهة نظر محايدة تجاه النزاع وترسيخ فكرة التبعية الإعلامية للسلطات كان له أثر كبير في أسلوب تقديم القصة الخبرية. وفي هذا الصدد، أشار بول آدم Paul Adam مراسل الشؤون العالمية لهيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) في القيادة المركزية الأمريكية في قطر في حرب العراق، إلى أن هذا الإطار من العلاقة بين المؤسسة العسكرية والصحافة، يوفر للصحفيين درجات معينة من الأمن، وفي الوقت نفسه يتيح للجيش الفرصة لتبرير أعمالهم العسكرية للرأي العام في الداخل وللعالَم أجمع، حيث قال: إنها نوع من أشكال التفاوض، التي تتيح للطرفين كسب أشياء، والتنازل عن أشياء أخرى" (مقابلة، لندن، 3 نوفمبر 2016). يشير جوناثان ستيلي Jonathan Steele، مؤلف العديد من الكتب في الشؤون الدولية، وهو مستقل وكان يعد أحد أعمدة المراسلين الدوليين في صحيفة الغارديان البريطانية، إلى أن للصحفيين دور مشروع يلعبونه في ساحة المعركة تماماً، مثل دور المؤسسات الحكومية، وغير الحكومية الأخرى، لذا يتعين على الجيش الاعتراف بالدور المتطور لوسائل الإعلام في النزاعات ودعم عملها،

حيث قال: "معظم الصحفيين المستقلين لا يقومون بأعمال دعائية أو أنشطة علاقات عامة لأية جماعة في منطقة الحرب، لذلك يتعين على الجيش أو الحكومة، أو الأطراف الأخرى المشاركة في النزاع، أن يتقوا في هؤلاء الصحفيين، ويسهلوا مهمتهم، من خلال السماح لهم بجمع معلوماتهم بأقل قدر ممكن من القيود الأمنية" (مقابلة، لندن، 3 نوفمبر 2016). لذلك، يتعين على مراسلي الحرب حوض معركتهم الخاصة، من أجل الحفاظ على التوازن بين المستوى العام للصحافة في حالة حرب، وما تهدف الاستراتيجيات العسكرية إلى تحقيقه.

ومع ذلك، يسعى بعض الصحفيين إلى الحفاظ على حيادهم في تقارير الحرب لكن ذلك لا يعني أن الصحفي يجب أن يكون محايداً في الحديث عن القوات أو ضحايا الحرب. ان الالتزام بالحياد كما يؤكد الصحفي البريطاني الشهير باتريك كوبرن (2010) يكمن في البحث عن أساليب متعددة لجمع المعلومات دون الاقتصار فقط على الرواية التي يقدمها الجيش، إذ أن عدم التنوع في تقديم الرؤى المتعددة حول الصراعات المتطورة يحول الموضوعات الصحفية إلى قصص ناقصة ومتحيزة. ولذلك، يجب على الصحفي ان يقدم وجهات نظر متوازنة بشأن الصراع. ومع ذلك، فإنه من غير العملي أن يغطي الصحفيون كافة أطراف الصراع في نفس الوقت وبنفس الأهمية. يشير فوكس (2005) إلى انه عند مقارنة التغطية الإعلامية لحرب الخليج الأولى عام 1991 بالتغطية الثانية في عام 2003، يلاحظ بأنه تم إضافة بعض اللمسات الإنسانية على القصص الإخبارية حيث قام الصحفيون الملتحقون بوحدات الجيش بعرض صور لجنود بريطانيين وأمريكيين يعملون بجد ويخاطرون بحياتهم من أجل تحرير الشعب العراقي من صدام حسين ومساعدتهم.

كما أنه تم عرض صور التفجيرات من أجل تقديم التفوق المزعم للقوات المتحالفة وما يسمى بـ "العمليات النفسية" ضد العدو يتم شنها من خلال استخدام وسائل الإعلام مما جعل الحرب تتحول إلى حدث اعلامي كبير يحظى بمتابعة عالمية على مدار الساعة وتباع التغطية كسلعة ترفيه منزلية (فوكس، 2005).

لقد أثرت التحديات الناشئة المتعلقة بالثورة التكنولوجية في الاتصال وحفظ البيانات والتطور في العقائد القتالية وصعود وسائل الإعلام الجديدة على مهنة المرسلين الحربيين ممن يلتحقون بالوحدات العسكرية ضمن نظام "الصحفي المرابط"، وأصبحت لدى المتلقي وسائل بديلة ومؤثرة للحصول على الأخبار الفورية من غير القوات الرسمية. ولذلك فإن سياسة العمليات الإعلامية التي تنتهجها القوات المسلحة البريطانية مثلا تجبر الصحفيين ممن يمثلون وسائل الإعلام البريطانية على توقيع وثيقة طلب الانضمام الى الوحدات العسكرية في الجيش البريطاني قبل السماح لهم بالانتشار مع وحداتهم العسكرية لضمان السرية في النشر الإعلامي، ودعم خطط العمليات المعلوماتية. توفر الوثيقة العسكرية للجيش البريطاني التي يطلق عليها (الكتاب الأخضر) The Green Book جميع أحكام وشروط هذا الاتفاق.

وعلى غرار معظم الصحفيين الحربيين، واجه ديفيد برات David Pratt، المرسل الدولي لصحيفة هيرالد الأسكتلندية، لحظات حاسمة من عدم اليقين في تاريخ علاقته بصحافة الحروب عندما قرر ما إذا كان سيعمل بشكل مستقل أو ينضم إلى قوات التحالف، وخاصة القوات الأمريكية. ديفيد برات هو مؤلف ومذيع وله اهتمام خاص بالعالم العربي والإسلامي، عمل سابقاً في رويترز ومعهد تقارير الحرب والسلام، قال عن تجربته في حرب العراق: 'في بداية الحرب، عُرضت عليّ في الواقع الانضمام الى الفرقة الأسكتلندية "بلاك ووتش" في البصرة. وفي الحقيقة رفضت ذلك لأنني لم أكن مؤمناً بالاتحاق بأي وحدة عسكرية وذلك لاعتقادي أنه يتعارض مع الممارسة الصحفية الجيدة.

لذا دخلت إلى العراق بطرق خاصة لكن في الواقع كان صعباً جداً لأنك ستكون منبوذاً من قوات التحالف، ليس كثيراً من البريطانيين، ولكن من قبل القوات الأمريكية لان وجهة نظرهم كانت إما أنك معنا أو ضدنا (مقابلة، غلاسكو، 6 ديسمبر 2016). هل هناك فاصل بين مسؤولية الصحافة من الناحية الوطنية وبين دورها الأخلاقي كباحث عن الحقيقة وشاهد لأحداث التاريخ؟

ان العلاقة بين ما تقدمه ووسائل الإعلام من محتوى والذي قد يعكس الواقع او يكون مصطنعاً واستجابة الجمهور له يكشف عن الحدود الوهمية بين مهمة الصحفي كناقل للخبر، ومهمته الأخرى كمناضل يعبر عن موقفه تجاه المتغيرات في بيئته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. يشير بنصالح (2020) أن هناك مدرستان صحفيتين في هذا الجانب: الأولى ترى أن دور الصحفي ينحصر في نقل الوقائع والتثبت من صدقية الأخبار، وأن الموضوعية والنضال ضدان لا يلتقيان. ان هذه المدرسة تعد البحث عن الحقيقة ومكابدة المتاعب والتعرض للأخطار واثارة الرأي العام هي في حد ذاتها نضالاً بهدف فصل الصحافة عن الاجندات السياسية، والاختلافات الدينية، والنعرات الطائفية، والمعارك الفكرية. أما المدرسة الثانية فتري أن الصحفي من خلال تعريته للواقع وكشفه الحقائق وبحكم موقعه لا يمكن ان يفصل نفسه عن قضايا الشأن العام وينبغي عليه كنوع من الالتزام المهني أن يسجل موقفه بوضوح في ظل التحولات التي تشهدها البيئة السياسية والاقتصادية والتكنولوجية من حوله خاصة ما يتعلق بقضايا الحروب والأزمات والتكنولوجيا وثورة الاتصال والذي افرز ما يعرف بـ "المواطن الصحفي" انتعشت خلالها صحافة الناشطين ومدونات يوميات الحرب (الزبيق، 2020).

ويسوق بنصالح (2020) مثالا على التداخل في الأدوار بين الصحفي والمناضل عندما أقدم الصحفي البريطاني غرين غرينوالد من جريدة "الجارديان" البريطانية نشر تسريبات موظف وكالة الامن القومي الأمريكية إدوارد سنودن عن برامج التجسس في الولايات المتحدة والذي حظي باهتمام العالم أجمع وشكل أضخم سبق صحفي في الصحافة المعاصرة كشف عن تجاوزات الإدارة الأمريكية في مسألة حريات الافراد والخصوصية لكن ذلك لم ينزع عنه صفة الصحفي. وهنا يتبادر إلى الذهن ماهية الحدود الفاصلة بين الصحفي الذي يختار لنفسه الحياد والموضوعية والالتزان في طرحه للقضايا الوطنية والأمنية، وبين الآخر الذي يمزج بين الخبر والرأي في تناوله للقصص الإخبارية والاصطفاف في خندق واحد مع أولئك الذي يشاطرهم الفكر فيما يرونه من قضايا شعبية مشروعة في خلق حالة من الصراع مع السلطة تسهم في التحول السياسي نحو الديمقراطية. لكن هناك أيضا طرف ثالث اختار لنفسه عبر مستويات مختلفة ممارسة الدجل، والتضليل، ونشر الشائعات، والاذخار الكاذبة كجزء من آلة الدعاية والعمليات النفسية.

لا شك أن تضارب مصالح المراسلين في زمن الحرب عند التحاقهم بوحدات الجيش قد يؤثر على أدائهم كما أسلفنا سابقا إذا لم تحاط العلاقة التي تربط الصحفيين بالوحدات العسكرية بإطار من الثقة والاحترام المتبادل. وقد أكدت كارولين وايت Caroline Wyatt مراسلة هيئة الإذاعة البريطانية (BBC)، التي كانت مع مجموعة الصحفيين التي تم تضمينهم لدى وحدات الجيش البريطاني في حرب العراق، أن العلاقة الناجحة مع الجيش في المعسكرات والثكنات وساحات المعارك يجب أن تنطوي على درجة عالية من الثقة والاحترام من كلا الجانبين لتحقيق المصالح المتبادلة، على الرغم من تعقد استراتيجيات التفاوض حيث قالت: ' من أجل أن نحصل على القصة الخبرية لنقلها للجمهور قدر الإمكان، كنا نحاول دائما أن نتفق مع الوحدات العسكرية أين سنكون؟ وفي أي وحدة؟ ومع من؟ ونحن نحاول أن نكون مع الناس الذين يفعلون الأشياء الأكثر إثارة للاهتمام.

ولكنها بالفعل مقايضة إذا قمت بتضمينها. إنها صفقة.. إنها صفقة.. إنها صفقة' (مقابلة، لندن، 3 نوفمبر 2016). وفي هذا الصدد كشفت دراسة أعدها مشروع التميز في مركز أبحاث الصحافة (2003) حول الصحافة المرابطة أن "الغالبية العظمى من القصص الصحفية التي تمت دراستها، 94٪ منها كانت في الأساس ذات طبيعة واقعية". أن التقارير كانت إلى حد كبير وفقاً للحقائق لا يعني أنها جميعاً تحدثت عن حقيقة الحرب (فوكس، 2005). ويتساءل فوكس (2005) حول مدى تمثيل تلك النتائج على الواقع الموضوعي: ما الحقائق المعروضة؟ وما هي الحقائق التي لم يتم عرضها أو حذفها؟ ما هي اللغة والرموز المستخدمة لوصف القوات والأفراد الأمريكيين والعراقيين؟ هل سياق الصور المعروضة معروض بشكل كافٍ؟ ما هي المعاني الناشئة التي طرحتها التقارير؟ هل توجد مؤشرات على أن التقارير يمكن أن تتلاعب بالرأي العام أو تؤثر عليه في اتجاه معين؟ هل يتمتع الصحفيون المدمجون بمساحة كافية من الحجج المؤيدة للحرب وهل يمكنهم الحفاظ على هذه المسافة من الحدث في تقاريرهم؟ إلى أي مدى تمثل التقارير الآراء والتجارب الشخصية للصحفيين المرابطين؟ وما إذا كانت "الحقائق" المبلغ عنها تمثل الواقع أو تحرفه لم يتم بحثها؟

ويعد جيرمي بوين Jeremy Bowen أول محرر في هيئة الإذاعة البريطانية في الشرق الأوسط في عام 2004 وأول صحفي بريطاني يجري مقابلة مع الرئيس الليبي السابق معمر القذافي في عام 2011 بالاشتراك مع ماري كولفين وكريستيان أمانبور من شبكة ABC News كما أجرى مقابلة مع الرئيس السوري بشار الأسد.

وعندما التقيت بجيرمي بوين في مبنى هيئة الإذاعة البريطانية كان على وشك السفر لإسرائيل ومن ثم الولايات المتحدة الأمريكية ولم يمنحني الا جزء قصير من وقته. لدى جيرمي بوين مفاهيمه واعتقاداته الخاصة حول دور الصحفي في نقل أخبار الحروب حيث لا يعتقد كثيرا بوجود الحياد الإيجابي أثناء تغطية الصراعات بل يرى أن الحياد يمكن تلمسه ضمنا في سياق عرض وجهات النظر لكن بدون الإشارة لذلك تصريحاً، حيث قال: ' ما أحاول أن أقدمه من تقارير اخبارية هو ما تسميه هيئة الإذاعة البريطانية بـ "الحياد". والحياد في نظري هو أن أكون عادلاً في تفسير الأشياء وأحاول إظهار جميع وجهات النظر المختلفة حسب الاستطاعة، أو وجهات النظر الرئيسية، ولكنك في الاخبار لا تقول، "اثنين زائد اثنين يساوي أربعة". بل تشير إلى ما يقوله الطرف الأول وما يقوله الطرف الآخر والحقيقة تكمن فيما بينهما' (مقابلة، لندن، 8 فبراير 2017). ومما لا شك فيه أن هوية الصحفيين هي إحدى المفاهيم التي يحرص مراسلو الحرب على الحفاظ عليها في أوقات الصراع وذلك بحكم عملهم كوسطاء في نقل المعلومات والبيانات وتحليل المواقف السياسية للجمهور (Tønnessen & Kolstø, 2012). ولا شك أن المراسلين الحربيين يسعون جاهدين أثناء مرافقتهم للقوات المسلحة، لا سيما في أوقات ما بعد الصراع، برصد آراء المدنيين فيما يتعلق بالجهود الدولية لمساعدتهم على التعافي من الأعمال العدائية، ومنع تصعيد الازمات، وبناء الثقة للحفاظ على السلام، واستعادة الحكم الفعال (Orgeret and Tayeebwa, 2016). على سبيل المثال، عندما سلمت القوات البريطانية (البصرة) إلى القوات الأمريكية بعد أن تم اعلان الإطاحة بالنظام العراقي السابق، أشارت كارولين وايت إلى أن هيئة الإذاعة البريطانية تمكنت من تكليف بعض الصحفيين المحليين بالعمل كمراسلين من البصرة، بينما كانت هي ترافق القوات البريطانية في مواقع أخرى لرصد تحركات القوات البريطانية وذلك لاستكمال أبعاد التغطية الصحفية المتكاملة من خلال الحصول على وجهات نظر متعددة. ويتضح أن المراسلين المرابطين تتاح لهم في بعض الظروف فرصاً نادرة ومفيدة للدخول بصفة قانونية وتحت غطاء القوات المسلحة إلى المناطق التي تسيطر عليها قواتهم المسلحة أو القوات الصديقة أكثر من نظرائهم من الصحفيين المستقلين.

وفي المقابل أيضاً تتاح للصحفيين المحليين الفرصة اثبات قدراتهم في العمل الصحفي والتعاون مع كبار الصحفيين العالميين واخذ الخبرة منهم وربما التفوق عليهم. وهذا ما جعل جائزة الشجاعة الصحفية التي تقدمها منظمة "مراسلون بلا حدود" سنوياً، تذهب عام 2016 إلى الناشط السوري هادي العبد الله الذي أصبح من أبرز مراسلي الحرب المستقلين في سوريا (الزبيق، 2020).

الخلاصة:

لقد تناول هذا البحث تطور علاقة وسائل الإعلام بالحروب مع الأخذ في الاعتبار جانباً من التجربة البريطانية الثرية في إدارة العمليات الإعلامية والمعلوماتية. ولقد تم مناقشة الهيكل الحالي لبنية العلاقات بين المراسلين الحربيين وأطراف الصراع الفاعلين في الحرب المعاصرة مع النظر في التغييرات في المذاهب العسكرية، ونموذج الحرب، وتكنولوجيا الاتصالات. وقد تسبب ما سُمي بنموذج "الحرب الجديدة" في أدبيات الصراع المسلح في إحداث خلل في منظومة القيادة والسيطرة المعلوماتية مما جعل القادات العسكرية خاصة الأمريكية والبريطانية تمارس ضغوطاً على أهمية دمج وسائل الإعلام في جهودها الحربية والتي أضحت أكثر تعقيداً، لا سيما على المستوى التكتيكي.

ان الهدف من هذا البحث هو المساهمة في فهم المتغيرات التي طرأت على الممارسات الصحفية في الحروب والنظر في الآثار المترتبة على نظام "الصحفي المرابط" مع القوات المسلحة مما أدى إلى شكل جديد من العلاقات بين الجيش ووسائل الإعلام التقليدية والجديدة في صراعات اليوم. وعلى الرغم من الفوائد الاستراتيجية والتكتيكية للنظام "الصحفي المرابط" في تحقيقه لبعض أهداف استراتيجية العمليات العسكرية، فقد حان الوقت للتخلي عن النموذج القديم في المذاهب الإعلامية الموجهة لإدارة صحافة الحروب لأننا اليوم نعيش في عالم سريع التغيير في قطاع الاخبار ونقل المعلومات وتداول البيانات وتطور شبكات الاتصالات. يناضل المرسلون الحربيون اليوم لتأمين سلامتهم في ظل حالة من الاقتتال الداخلي الذي لا يرحم في بلدان ذات أوضاع أمنية هشة مثل سوريا وليبيا وأوكرانيا واليمن وشمال العراق، وهي مناطق تسيطر فيها خليط من الجماعات النظامية وجماعات الميليشيات ذات المصالح السياسية والأيديولوجيات والأعراف المتقلبة. كما تم التركيز أيضا في هذا البحث على تأثير تكنولوجيا المعلومات على دور مراسلي الحرب فيما يتعلق بالوصول إلى منطقة الحرب، ومستوى الاستقلالية والجوانب المتعلقة بالعمل الصحفي.

أظهر هذا البحث أن هناك حالة من عدم الثقة سادت بين الصحفيين عقب حرب العراق (2003) حول النظام "الصحفي المرابط" من حيث المنظورات الأخلاقية والأدوار الوظيفية والعلاقات الانسانية. ويمكننا القول بان نقد المفهوم يقع ضمن منظورين داخل العمل الصحفي الحربي:

أولاً، أولئك الذين لديهم منظور عملي تجاه حل المشكلات الميدانية على خط المواجهة، ويدعون أنه من الصعب تحقيق علاقة غير مشروطة مع الجيش في وضع غير مؤكد حيث أصبح الصحفيون أنفسهم هدفا عسكريا ماديا في المفهوم الجديد للحرب.

كان على المرسلين المضمنين توقيع اتفاقية مع الجيش تم تحديدها في الكتاب الأخضر؛ تغطي هذه الوثيقة القضايا العملية والمتعلقة بالسياسة بما في ذلك المتطلبات الأمنية لوزارة الدفاع وقضايا السلامة وتوفير الإسناد اللوجستيكي والدعم الإعلامي. الغرض من هذه الاتفاقية هو "تمكين وسائل الإعلام من اكتساب فهم أعمق لطبيعة المهمة التي يشاركون فيها وعلاقتهم بالقيادات العسكرية والجنود" (JSP 580، 2013، ص 9). ان نداعيات اتفاقية "الكتاب الأخضر" على عمل المرسلين كبيرة. فقد أكد الصحفيون ممن تم مقابلتهم إنهم حققوا بعض النجاح في الاندماج مع القوات المسلحة لأغراض الحماية الشخصية، وتأمين الوصول إلى السكان المحليين والتحدث إليهم ونقل معاناتهم، وبناء علاقة ثقة مع القادة في مناطق العمليات للحصول على أخبار حصرية، لا سيما المصنفة منها. هذا يوفر طريقة بديلة لأن يكون الصحفي شاهدا على أحداث القتال. ومع ذلك، كان الصحفيون مدركين لعواقب هذا الاتفاق على قيمهم المهنية، حيث انهم يغطون مساحة صغيرة من ساحة المعركة بما يمكن القيادة العملياتية من قدرتها على فرض الرقابة على المواد الإعلامية للحفاظ على المستوى المطلوب من الأمن المعلوماتي.

ثانياً، تشير مجموعة أخرى من مراسلي الحرب إن الاستقلالية أمر حيوي لممارسة "الصحافة الجيدة" ضمن المبادئ والقيم الإخبارية والمعايير التحريرية للثقافة الليبرالية لتحقيق الموثوقية، والمصادقية، والموضوعية في تغطية الحروب. إن جودة الأعمال الصحفية هي مسألة تثير القلق عند محاولة تحديد أفضل نسخة للتعبير عن الحقيقة، وتجنب الذاتية فيما يتعلق بنقد الأحكام المتعلقة بالأعمال العسكرية. وإذا كان الصحفيون يؤيدون سرد بعض القصص بطريقة معينة،

فمن المحتمل افتقارهم إلى المصدقية عندما يناقشون قضايا مثيرة للجدل مثل الادعاءات الكاذبة لتبرير الغزو العسكري كما حدث في الحرب على العراق عام 2003م، والأضرار الجانبية غير المقصودة، ومقتل الجنود، واستخدام الطائرات بدون طيار، وهذا يمكن أن يغذي أيضاً الاتهامات بالتحيز. ويبدو أن الصحفيين المستقلين رفضوا الادعاء بأن عقد صفقة مع الجيش لمقاومة سلامتهم بحرية التعبير أمر لا مفر منه اثناء الازمات لضمان الوصول للمعلومات.

ويعتقد الباحث ان دراسة ما بعد مرحلة "الصحفي المرابط" والتي تحول فيها شكل الصراع المسلح من الصراع التقليدي بين جيوش محترفة الى صراعات غير تقليدية ضد عناصر وقوى غير حكومية سيفتح المجال لتقديم مزيدا من الرؤى والأبحاث للوقوف على مستقبل العلاقة بين المؤسسة العسكرية ووسائل الإعلام في ظل ظاهرة تراجع دور الصحافة الجادة في نقل الوقائع من مناطق العمليات بسبب صعود وسائل تقنية ومعلوماتية أخرى في مشهد الأحداث.

المراجع

المراجع باللغة العربية:

- أبو قمر، م. (2020) يوميات صحفي فلسطيني تحت النار، معهد الجزيرة للإعلام، <https://institute.aljazeera.net/ar/ajr/article/1068>، 25 أغسطس، 2020.
- أمين، س. (2003) ما بعد الرأسمالية المتهاكلة، ترجمة: فهمية شرف الدين وسناء أبو شقرا، المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار، بيروت، لبنان.
- الزبيق، م. (2020) من ميادين الثورة إلى غرف التحرير، العدد (17) السنة الخامسة I ربيع 2020 مجلة فصلية، معهد الجزيرة، شبكة الجزيرة العالمية.
- بنصالح، أ. (2020) الصحافة والنضال والحدود الرمادية، العدد (17) السنة الخامسة I ربيع 2020 مجلة فصلية، معهد الجزيرة، شبكة الجزيرة العالمية.
- جالوا، أ. (2004) حماية الصحفيين ووسائل الإعلام في أوقات النزاع المسلح، تم الاسترجاع من الرابط <https://www.icrc.org/ar/doc/assets/files/other/journalists-protection-army-conflict.pdf>، 8 يونيو 2020م، International Review of the Red Cross, Vol. 86, No. 853.
- حيدر، م. (2004) البعد الأخلاقي في الإعلام المعاصر "أدلجة الخبر والصورة"، الدفاع الوطني اللبناني، العدد 64.
- عطوف، ز. (2019) هيمنة الإعلام والسينما وسلطان الصورة، TRT عربي، تم الاسترجاع من الرابط <https://www.trtarabi.com>.
- علي، م. (2016) "المصلحة الوطنية" تهزم الموضوعية" معهد الجزيرة للإعلام، تم الاسترجاع من الرابط <https://institute.aljazeera.net/ar/ajr/article/587>

- الغزالي، ر. (2019) الصورة.. الوجه الحقيقي للحرب!، معهد الجزيرة للإعلام، تم الاسترجاع من الرابط <https://institute.aljazeera.net/ar/ajr/article/216>
- قاعود، ي. (2017) الهيمنة الأمريكية وتحولات النظام السياسي الدولي، المركز الديمقراطي العربي، تم الاسترجاع من الرابط <https://democraticac.de/?p=47492>
- لجنة حماية الصحفيين (2015) دليل التغطية الصحفية للأوضاع الخطرة، تم الاسترجاع من الرابط https://cpj.org/wp-content/uploads/2020/05/safety_guide_arabic.pdf
- موقع الجزيرة (2003) NBC تفصل بيتر أرنيث بسبب تصريح لتلفزيون العراق، تم الاسترجاع من الرابط <https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2003/3/31D9%84%D8%AA%D9%84%D9%81%D8%B2%D9%8A%D9%88%D9%86>، 12 يونيو 2020م،
- موقع الجزيرة (2017) القضاء البريطاني: قواتنا انتهكت حقوق المدنيين بالعراق، تم الاسترجاع من الرابط <https://www.aljazeera.net/news/arabic/2017/12/15D8%AD%D9%82%D9%88%D9%82>
- ناشتوي، ج. (2007) أمينتي: أن تصبح صوري شاهدة عيان، موقع تيد، تم الاسترجاع من الرابط https://www.ted.com/talks/james_nachtwey_my_wish_let_my_photographs_bear_witness?nolan_guage=ar%22+%5C1+%22t-98495
- وايت، أ. (2017) أخلاقيات مهنة الصحافة تعود الى الواجهة، مجلة رسالة اليونسكو، العدد 2017/2.
- اليحاوي، ي. (2014) الأخلاق في مجتمع الإعلام، مركز الجزيرة للدراسات، تم الاسترجاع من الرابط <https://studies.aljazeera.net/ar/mediastudies/2014/09/2014997515340375.htm>

المراجع باللغة الإنجليزية

- Badsey, S. (2009) *The British Army in Battle and its Image 1914-1918*. London: Bloomsbury Publishing
- Butler, J. (2005) Photography, War, Outrage [online], *Modern Language Association*, Available from: <https://www.jstor.org/stable/pdf/25486216.pdf?refreqid=excelsior%3A45be3b33c471805b53b06fda74604e36> [Accessed 27 April 2017].

- Cockburn, P. (2010) Embedded Journalism: A Distorted View of War, [Online] *The Independent*. Available from: <https://www.independent.co.uk/news/media/opinion/embedded-journalism-a-distorted-view-of-war-2141072.html>, [Accessed 27 April 2017].
- Dodson, G. (2010) Australian Journalism and War, *Journalism Studies*, 11:1, pp. 99—114. DOI: 10.1080/14616700903119768.
- Galtung, J. (2002) Peace journalism – A challenge. In W. Kempf and H. Luostarinen, (ed.). *Journalism and the New World Order*, Vol. II, Goteborg, Sweden: Nordicom.
- Galtung, J. (2003) Peace journalism, *Media Asia*, Vol. 30:3, pp. 177—180, DOI: 10.1080/01296612.2003.11726720.
- Hindman, M. and Barash, V. (2018) Disinformation 'Fake News' and Influence Campaigns on Twitter, Knight Foundation, Miami, USA.
- JSP 580 (2013) *Green Book: MoD Working Arrangements with the Media for Use throughout the Full Spectrum of Conflict* [Online], Shrivenham, UK: MoD. Available from: https://assets.publishing.service.gov.uk/government/uploads/system/uploads/attachment_data/file/70682/greenbook_v8_20130131.pdf, [Accessed 29 April 2017].
- Kutz, M.S. (2013) Just Wars and Persuasive Communication: Analyzing Public Relations in Military Conflicts. In Seethaler, J. (ed.) *Selling War: The Role of the Mass Media in Hostile Conflicts from World War I to the 'War on Terror'*, European Communication Research and Education Association (ECREA), intellect Bristol, UK/ Chicago, USA.
- Lee, S. and Maslog, C. (2005) Asian Newspaper Coverage of Conflicts, *Journal of Communication*, Volume 55, Issue 2, 1 June 2005, pp. 311—329, DOI: <https://doi.org/10.1111/j.1460-2466.2005.tb02674.x>.
- Lindner, A. M. (2009) Among the Troops: Seeing the Iraq War through Three Journalistic Vantage Points, *Social Problems*, Volume 56, Issue 1, pp. 21—48. DOI: <https://doi.org/10.1525/sp.2009.56.1.21>.

Lynch, J. and Galtung, J. (2010) *Reporting Conflict: New Directions in Peace Journalism*. Queensland: University of Queensland Press.

Lynch, J. and McGoldrick, A. (2013) Responses to Peace Journalism, *Journal of Journalism*, 14(8), pp. 1041—1058, DOI: org/10.1177/1464884912464175.

Neumann, R. and Fahmy, S. (2016) Measuring Journalistic Peace/War Performance: an Exploratory Study of Crisis Reporters' Attitudes and Perceptions, *International Communication Gazette*, 78(3), pp. 223—246. DOI: 10.1177/1748048516630715.

Nohrstedt, S. and Ottosen, R. (2014) *New Wars, New Media and New War Journalism: Professional and Legal Challenges in Conflict Reporting*. Sweden: Nordicom, University of Gothenburg.

Olsson, P. (2017) Rescue or Report? The Ethical and Editorial Dilemmas of Crisis Journalism [Online], Available from: <http://www.lse.ac.uk/media@lse/Polis/documents/Rescue-or-report.pdf>, [Accessed 12 Sep 2018].

Orgeret, K. and Tayeebwa, W. (2016) *Journalism in Conflict and Post-Conflict Conditions: Worldwide Perspectives*. NORDICOM.

Rees, S.D. (2001) Understanding the Global Journalist: A Hierarchy-of-Influences Approach, *Journalism Studies*, Volume 2, Number 2, 2001, pp. 173—187.

Shanker, T. and Sanger, D. (2002) A Nation Challenged: The Military; US Envisions Blueprint on Iraq Including Big Invasion Next Year [Online], *New York Times* 28 April. Available from: <http://select.nytimes.com/search/restricted/article?res=F00C10FD355A0C7B8EDDAD0894DA404482> (Accessed 17 February 2017).

Tønnessen, H. and Kolstø, P. (2012) Journalistic Identities and War Reporting: Coverage of the 2008 Russian-Georgian War in the Russian Press, *Scando-Slavica*, 58:1, pp. 101—121. DOI: 10.1080/00806765.2012.669917.

قائمة بالمراسلين الحربيين ممن تم مقابلتهم في المملكة المتحدة في الفترة من 2016-2018م

م	الاسم	المؤسسة الإعلامية
1	جيرمي بوين Jeremy Bowen	هيئة الإذاعة البريطانية BBC
2	جوناثان بيلي Jonathan Beale	هيئة الإذاعة البريطانية BBC
3	ليز دوسيت Lyse Doucet	هيئة الإذاعة البريطانية BBC
4	ديفيد برات David Pratt	صحيفة هيرالد الأسكتلندية
5	كارولين وايت Caroline Wyatt	هيئة الإذاعة البريطانية BBC
6	بول آدم Paul Adam	هيئة الإذاعة البريطانية BBC
7	جوناثان ستيلي Jonathan Steele	صحيفة الجارديان

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v2.19.2